

مُقَوِّمَاتُ النَّصْرِ

صالح الهطالي

١٣ من شوال لعام ١٤٤٢ هـ / ٢٥ من مايو لعام ٢٠٢١ م

في نشوة النصر التي أحرزها المجاهدون الفلسطينيون، يجلو للبعض أن يجعل القوة والشجاعة وحُسن التخطيط وغيرها من الصفات التي يتحلَّى بها المجاهدون من أسباب النصر على العدو المحتل، وهذه الصفات فيهم بلا شك، ولكنها -حسب علمي القاصر- لا تصنع نصرًا، وإنما هناك خصلتان رئيستتان لا بُدَّ أن يقتزنا في نفس الذي يريد أن يُحرز النصر، ألا وهما الإيمان والجهاد، كما قرنهما المولى -سبحانه- في قوله: **{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ }** (النساء: ٩٥).

في هذه الآية نرى المولى -سبحانه- قد وصف الفريقين (المجاهدين والقاعدين) بالإيمان، ولكنه زاد على الفريق الآخر صفة الجهاد، واشترط لها أن تكون في سبيل الله، وليس لأية غاية أخرى مهما علَّتْ أهميتها في أعين الناس، وهاتان الخصلتان هما اللتان يجب تربية شباب الأمة عليهما ليأذن ربُّ العزة -جلَّ جلاله- لهذه الأمة بسببهما أن تُحرز النصر على أعدائها، أيًّا كانوا، وفي أيِّ مكانٍ وُجدوا، وبدونهما لن يتغيَّر الحال، ولن يأتي النصر.

كذلك، يجلو للبعض أن يصف المجاهدين الفلسطينيين بأنهم يقاتلون من أجل حماية المقدَّسات، واسترداد أرضهم السليبية، والدفاع عن ذويهم وشعبهم، وهذه غاياتٌ نبيلة بلا شك، ولكني أرى أنها تبخَّس حقَّ المجاهدين الفلسطينيين؛ فهمُ المجاهد المؤمن ليس مُجرَّد

استرداد كيلومترات من الأرض أو حماية مبانٍ - مهما سمّت قداسُها-، ولا الدفاع عن البشر - مهما كانت أحوالهم أو صلة القرابة بهم-، وإنما همُّه قبل كل شيء إعلاء كلمة لا إله إلا الله، وإعزاز أمة الإسلام، ورفع راية الإسلام عالية خفاقة فوق كل شبرٍ من الكرة الأرضية، وتحرير البشر من عبودية المادة والبشر إلى العبودية المطلقة لله وحده لا شريك له، ولا أخال المجاهدين الفلسطينيين الذين أكرمهم المولى - سبحانه- بالنصر على الكيان الصهيوني الغاصب المحتل إلا وهذه هي غاياتهم التي نذروا أرواحهم وأجسادهم وأمواتهم رخيصة من أجلها، وإلا لما أكرمهم الله بالنصر، مصداقاً لقوله سبحانه: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد: ٧).**

وأخيراً، يخلو للبعض وهم يُقارنون حال المجاهدين مع حال العدو المحتل -وعلى رأسه زعيمه النتن أخزاه الله- بأن هذا الكيان يتمتع برابع أقوى جيش في العالم، وبجهاز مخابرات لا يُضاهى، وتطورٍ علميٍّ وتَقْنِيٍّ نادر الوجود في معظم الدول، ويقولون بأنه رغم كل ذلك استطاع المجاهدون الانتصار عليهم.

والحقيقة -حسب تصوُّري- فهناك خِصْلَةٌ واحدة أهَلَّتْ هذا الكيان الغاصب للهزيمة، ألا وهي الكفر بالله، والتَّعَدِّيُّ على حرَماته، فبحسب نظرة الإسلام - كما أفهمها- فإن القوة المادية -مهما كانت- لا تدخل في حساب النصر والهزيمة، وإنما النصر يعتمد على صفة واحدة وهي الإيمان بالله -سبحانه-، فقد ذكر ربُّ العزة ذلك في أكثر من آية في كتابه العزيز، من مثل قوله: **{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (آل عمران: ١٢٣)**، وقوله: **{ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } (البقرة: ٢٤٩).**

ومنها وصية سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قائد جيش القادسية: **"فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العُدَّة على العدو، وأقوى العُدَّة في الحرب"**، ثم زاد بقوله: **"وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا**

ليس كعدددهم، وعُدَّتنا ليست كعدَّتكم، فإذا استوينَا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة".

من هنا، نتعلَّم درسًا مهمًّا ألا وهو التسلُّح بالإيمان والتقوى قبل التسلُّح بالمال والعتاد، وهذا كان دأبُ أجدادنا -رضوان الله عليهم- الذين حقَّقوا ما حقَّقوه لهذه الأمة من انتصارات عظيمة ونشرٍ لدين الله في أرجاء المعمورة، وهذا يجب أن يكون حال شباب الأمة اليوم، وبدون ذلك لن يأتي النصر والتمكين.